عرض الكتب : (٢)

القصر ودوره في السياسة المصرية ١٩٢٢ — ١٩٥٢

مذكرات حسن يوسف

عرض
دكتور أحمد زكريا الشلق

الكتاب أصدره مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام عام ١٩٨٣، ويقع في ثلاثة وعشرين فصلا، تشغلهم ٤٢٠ صفحة، والمؤلف هو الأستاذ حسن يوسف باشا الذي كان وكيلا، فرئيسا بالنيابة، للديوان الملكي حتى عام ١٩٥٢، وقد قدم لنا كتابه باعتباره معاصرا، بل وشارك في أحداث فترة حساسة في تاريخ مصر المعاصر، وكحصيلة لذكرياته وانطباعاته، وسوف نسميها في البداية — وعلى سبيل التجاوز — مذكرات حسن يوسف باشا، وذلك لأن اعتبارها على النحو الذي خرجت به كمذكرات سياسية، هو أمر يحتاج الى مراجعة ونقاش.

لقد بدأ المؤلف صلة بالملك فاروق حين كان سكرتيرا بالمفوضية المصرية بلندن عام ١٩٣٥ حيث كان فاروق أميرا يتعلم هناك، وكان المؤلف ضابط اتصال بين وزير مصر المفوض، ومقر الأمير، ثم استأنف صلته به بعد ذلك عام ١٩٣٨ حين عين مديرا لمكتب الصحافة بوزارة الخارجية، ثم مديرا للرقابة على النشر الى أن انتقل المؤلف الى الديوان الملكي مديرا للادارة العربية به عام ١٩٤٢، وأصبح وكيلا للديوان منذ عام ١٩٤٤ وحتى عام ١٩٥٢، تخللت ذلك فترات كان فيها رئيسا للديوان بالنيابة، كما كان كاتم سر مجلس البلاط وحاملا لأختام الملك، ومن هنا تكمن أهمية الكتاب الذي شارك صاحبه، وشاهد عن قرب الكثير من أحداث عصره في فترة بالغة الأثر من حياة مصر السياسية، كان فيها الديوان الملكي أداة الاتصال الرسمية بين القصر والحكومة، حيث أتيحت له فرصة الاتصال برؤساء

الوزارات بشكل مباشر ، وهم يمسكون بأزمة السلطة ، كما اتيحت له ، وهو يمتلك حس المؤرخ ، فرصة الالمام بالوثائق والأوراق الرسمية المحفوظة بالديوان ، وحين استقر به المقام أخيرا بوحدة الدراسات والبحوث التاريخية التابع لمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بمؤسسة الأهرام ، أخرج لنا كتابه هذا كشهادة للتاريخ •

والفصل الأول بمثابة تمهيد للكتاب وعنوانه « دستور ١٩٢٣ ومكونات القصر » ويتناول فيه تشكيل لجنة الدستور والأزمات التى واجهتها عند اعداد نصوص الدستور ومحاولات تعديلها ، وحقوق المدة الدستورية ، ثم دراسة دواوين القصر وفروعها كمؤسسة قائمة بذاتها ، ثم أرشيف السراى الذى يضم محفوظات الديوان العام ، والمحفوظات الخاصة التاريخية • أما الفصلان الثانى والثالث فيتناولان سيرة حياة المؤلف وتدرجه فى الوظائف الدبلوماسية ثم الصحافية وأخيرا وظائفه واختصاصاته بالديوان الملكى وعرض ذلك كله فى تسلسل تاريخى منحكم • أما الفصل الرابع فيتناول موقف القصر من الحركة الوطنية المصرية والمفاوضات المصرية ـ البريطانية ـ ويركز على أن القصر كان عاملا مشتركا فى ممارسة السلطة عن طريق أحزاب الأقلية وبعض المستقلين •• وقد تتبع المؤلف خلال هذا الفصل الهام سلسلة المفاوضات البريطانية موضحا موقف القصر منها •

أما الفصل الخامس فيتناول موقف الملك فؤاد من بعض الأزمات الدستورية ، وأولها محاولات الملك توسيع سلطاته عند اعداد دستور ١٩٢٣ ، وأزمة الملك مع سعد زغلول عام ١٩٢٤ ، وأزمة الأمر الملكى الخاص بحلف الوزراء يمين الولاء للملك ، وأزمة مجلس الوصاية عند وفاة الملك فؤاد والملابسات المحيطة بها •• الخ ، ثم يتابع الملك الأزمات الدستورية فى عهد الملك فاروق فى الفصل السادس ، وصراعه مع الوفد ، ونشأة المحاور داخل الوفد ودور الملك فى انقسامه ، وأزمة انشاء وزارة المقيمين ومسألة القمصان الزرقاء ، وأزمة تعيين الملك على ماهر رئيسا للديوان

الملكى ، وسلطات الوزارة فى منح الرتب والنياشين ، وتعيين خمس أعضاء الشيوخ ، ومحاولات الوفد عزل الملك واستبداله بالأمير محمد عبد المنعم .. والأزمات التى أدت الى اقالة الوزارة الوفدية (١٩٣٧) .

أما الفصل السابع فيتناول دور القصر فى سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب العالمية الثانية .. بينما خصص الفصل الثامن لحادث ٤ فبراير ١٩٤٢ وملابساته داخل القصر ، مع التطرق الى موقف الولايات المتحدة الأمريكية من الأزمة واعتراضها على محاولة عزل الملك فاروق .. وينتقل المؤلف بعد ذلك لدراسة موقف القصر من أزمة الوفد والكتاب الأسود فى الفصل التاسع وخصومة النحاس باشا ومكرم باشا ، وعناصر الخلاف بين الوزارة الوفدية والقصر ، واستجواب الحكومة .. الخ . وقد تناول الفصل العاشر استكمال عناصر الخلاف بين القصر والوزارة ومحاولة القصر تعيين رئيس الديوان الملكى رئيسا للوزراء ، وكان أحمد حسنين باشا وقتها هو المكلف بتأليف الوزارة الجديدة ، ثم ألم بتطور الأحداث التى أنهت الفكرة بعد تدخل السفير البريطانى . ثم تنتهى الأزمة باقالة وزارة ٤ فبراير ١٩٤٢ التى يتناولها المؤلف فى الفصل الحادى عشر .

وقد بدأ المؤلف يستعرض موقف الملك من عدة قضايا أساسية تناولت الفصول من الثانى عشر حتى السادس عشر : فيتناول موقف الملك من قضية الوحدة العربية ، وموقف الملك من القوات المسلحة ، وموقف القصر من مسألة السودان وتطورها ، ثم علاقة القصر بالأزهر والمعاهد الدينية ، وأخيرا يتناول فى الفصل السادس عشر نظرة الملك الى الممارسة الديمقراطية وفيه يتعرض لدور الملك من خلال الأحزاب اللاوفدية ومن خلال مناورات رئيس الديوان الملكى .

وفى الفصلين السابع عشر والثامن عشر يتناول المؤلف عودة الوفد الأخيرة الى الحكم ، وفى وزارته الأخيرة (٥٠ - ١٩٥٢) حيث يتعرض

للمناخ السياسى الذى خلف الحرب العالمية الثانية ومحاولات تأليف الوزارة القومية ثم الملابسات التى أدت الى عودة الوفد الى سلطة .. كما يتناول المؤلف قضية الأسلحة الفاسدة التى أثارتها مجلة روز اليوسف سنة ١٩٥٠ مع تتبع تحقيقاتها حتى تم حفظها بالنسبة لأفراد الحاشية .. ثم يعود المؤلف لتبادل اخفاق المفاوضات لحل القضية الوطنية المصرية ثم الغاء معاهدة عام ١٩٣٦ وما ترتب على ذلك من أحداث (فى الفصلين ٢٠، ٢١) بلغت ذروتها فى حريق القاهرة ، الذى تناوله المؤلف فى الفصل الثانى والعشرين ، مشيرا الى ازدياد شعبية الجماعات السياسية الجديدة (الاخوان ــ الشيوعيون ــ مصر الفتاة) .. ثم تتبع الأزمات التى أعقبت اقالة وزارة الوفد ، ثم وزارات الانقاذ ، والظروف التى مهدت لقيام الثورة . وفى الفصل الرابع والعشرين يعطينا المؤلف ملخصا لبعض الأزمات الوزارية التى وقعت فى حينها ثم رأى استعادتها وايضاحها فى فصل مستقل .. أما الفصل الأخير فهو بعنوان « على هامش المذكرات » وقد تعرض فيه المؤلف لبعض ذكرياته الخاصة والمواقف المتعلقة بالرتب والنياشين والتجاوزات فى استعمال السلطة .. الخ .

وهناك عدة ملاحظات وتعليقات منهجية تتعلق بالمذكرات ، وان كان هذا لايعنى أن المؤلف قد اتبع منهجا موضوعيا وتاريخيا فى آن واحد ، وفى لغة سهلة مشرقة وصياغة محكمة .. وأول ملاحظتنا أن المؤلف قد اختار لكتابه عنوانين معا هما : « القصر ودوره فى السياسة المصرية ، مذكرات حسن يوسف » مما يجعلنا نتساءل : هل هذه هى مذكرات حسن يوسف باشا بالفعل ، أم هى دراسة للقصر ودوره فى السياسة المصرية من خلال قدرات حسن يوسف وقلمه ؟ ومن المسلم به أن المؤلف لم يرجع الى دفاتر مذكراته الا بعد ١٠٦ صفحة من الكتاب .

ثم اذا كان المؤلف قد درس دور القصر من خلال مذكرات ووثائق القصر والوثائق الانجليزية فلماذا لم يستكمل الصورة السياسية الأخرى بدراسة المصادر التاريخية التى تعاملت مع القصر .. ثم هل هى مذكرات

أم مجرد ذكريات ؟ وربما كان من الأفضل لو بدأ المؤلف كتابه بالفصلين الثانى والثالث اللذين يتناولان سيرة حياته فى الوظائف ، وهما فى الواقع فصل واحد افتقر الى الحديث عن شخصية المؤلف من حيث نشأته ومولده وأصوله الاجتماعية وتكوينه الثقافى والسياسى •• الخ •

وهناك ملاحظة منهجية تتعلق بتقسيم الكتاب الى فصول بشكل مفتت على هذا النحو الذى خرج به ولكن يمكن للمؤلف أن يدمج فصولا تعالج موضوعا واحدا فى فصل واحد فيما يلى الأمثلة التالية :

— الفصلان الثانى والثالث : ويتناولان صاحب المذكرات من الدبلوماسية الى الصحافة •

— العاشر والحادى عشر : صراع القصر مع وزارة ٤ فبراير ١٩٤٢

— الفصول ١٦ — ١٨ : عودة الوفد الأخيرة للحكم •

— الفصلان العشرون والحادى والعشرون : المفاوضات والغاء المعاهدة •

— الفصل الرابع والعشرون يمكن الغاؤه واضافة الجديد فيه الى الفصول السابقة فى سياقها الزمنى وذلك أن به تكرارا كثيرا واسترداد لحوادث وآراء تناولها المؤلف قبل ذلك •

وهناك ملاحظة تتعلق بكون الكتاب يركز على صراعات القصر مع الوفد خلال وزارات ٣٦ — ١٩٣٧ ثم ٤٢ — ١٩٤٤ ثم ٥٠ — ١٩٥٢ دون أن يكتب كثيرا عن محالفات القصر لوزارات الأقلية ومساندته لها • كذلك فان المؤلف لم يذكر كل الأسرار التى يعرفها ، الأمر الذى يجعلنا نطالبه بجزء وثائقى من مذكراته ينشر فيها نصوص مذكراته نشرا وثائقيا جديدا •

وهناك تساؤلات أخرى حول حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ حيث لم يذكر لنا على عاتق من تقع مسئوليته وان كان قد أشار الى دور أمين عثمان ولم يقل لنا ماهو هذا الدور بالتفصيل •• كما أن المؤلف صور أزمة الكتاب

الأسود في إطار صراع القصر مع الوزارة وغيرها مع الانتخابات التي تقيمها السفير البريطاني المتسلط والوزارة بما يحصن المعتمد [illegible] الأزمنة دون تحليل لأسباب الصراع بين مكرم عبيد والنحاس باشا ونشأة هذا الصراع داخل الوفد .

وفي النهاية يلقى المؤلف بفضل [illegible] موضوع [illegible] حتى الآن بدراسة علمية منظورة قدم لها بما جدده من حقائق [illegible] ووجهات نظر وآراء مما أضاف للمكتبة العربية والتاريخية فائدة عظيمة فله منا وأجمل التقدير .